المهيمنة الدلالية في خطبة «الأشباح»

في نهج البلاغة دراسة الفرادة اللفظية في سياق وصف الملائكة

الأستاذ المساعد الدكتور:

محمد جعفر محيسن العارضي

(جامعة القادسية – كلية الآداب)

المهيمنة الدلالية في خطبة «الأشباح»

في نهج البلاغة دراسة الفرادة اللفظية

في سياق وصف الملائكة

الأستاذ المساعد الدكتور: محمد جعفر محيسن العارضي
(جامعة القادسية – كلية الآداب)

الملخص

ينظر البحث إلى «الفرادة اللغوية» من لحاظين هما: قابلية النظام اللغوي للغة التي يوظف المتكلم تقنياتها و امكاناتها الاختيارية، ومقدرة هذا المتكلم على أن يستشعر الطاقات الدلالية الكامنة والراكزة في تلكم الاختيارات ومدى خلق أجواء من التساوق بين العناصر الاختيارية في ضوء طاقاتها الدلالية.

وهذا ما نجده في التراث الكلامي الذي أُثر عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ونُقل في «نهج البلاغة».

ومن ذلك خطبة «الأشباح» ذات المضامين الفكرية والعقائدية و الكونية المهمة، التي يصف فيها الذات الإلهية من خلال اعتبارات متعددة،

ويتكلّم فيها على تأديب الخلق في تعاملهم مع هذا الوصف، ويصف فيها السماء، والملائكة، وخلق الأرض.

اخترت منها ما يمثّل وصفا للملائكة ووظائفهم وطرائق تلقيهم التكاليف من الخالق العظيم...

فلقد أقام الإمام علي (عليه السلام) منظومته اللغوية في هذه الخطبة على أساس من القصدية الدلالية العليا التي تتوخى الدلالة الخاصة لهذا الظهور اللفظي أو ذاك من خلال توظيف إبلاغي بلاغي يحقق الغرض على نحو من التوصيل والتواصل؛ إذ يستعمل الإمام (عليه السلام) ألفاظا يريد طاقاتها الدلالية الخاصة من دون الاكتفاء بدلالاتها العامة التي تشترك فيها ألفاظ أخر؛ لذلك كان استعمال «الصفيح»، و«ملأ» و «حشى»، و«زَجَل»، و «رجيج» و «ملأ» و «حشا»، و «زَجَل»، و «رجيج»، و حظائر القُدس، وسُتُرات الحُجُب، و سُرادِقات المجد...

للدلالة على أماكن الملائكة وطرائق عمارتهم السماء وعبادتهم الله سبحانه وتعالى، على نحو من التجديد الدلالي الاستعاري الموحي؛ ما يدفع

نحو دلالات عرفانية تُكسب هذه الدوال بعدا وعمقا يتجاوز ما هي عليه من دلالات مكانية.
إذ تؤسس هذه الدوال اللفظية إلى رمزية عالية تحث الإنسان وتجعل فيه هاجسا لطلب الكمالات والتدرج فيها.

المقدمة

يتمتع «نهج البلاغة» بمكانة عليا بين فنون المنجز القولي؛ ذلك بأنَّه كان يشتغل في منظومته اللغوية على أساس من توظيف بعدي العملية اللغوية في خطابه النصي.
فإنَّ المتأمل يجد الأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يسوق خطبه، وأوامره، وكتبه، ورسائله، وحكمه، ومواعظه التي يتضمَّنها «نهج البلاغة» وقد حشد لها عناصر الإبلاغ اللغوي، وعناصر البلاغية التعبيرية.
وعند التعاطي مع هذا الإبلاغ، وهذه البلاغية لا يكون أمام المحلل اللغوي إلا أن ينحاز في تحليله اللغوي إلى عناصر التوصيل اللغوي التأثيري؛ ليُقيم شبكة المعارفية الدلالية مستوفيا

آليات العمل التحليلي الدلالي الموسَّع الذي يضمن بيان مغزى النص وطاقاته الدلالية.

حاولت في هذا البحث أن أتحرَّك في ضوء من هذه المفاهيمية الدلالية التحليلية الموسَّعة أملا في الوصول إلى أعماق «القصدية الدلالية» التي تُبنى عليها التوصيلية اللغوية التأثيرية في كلام الإمام علي (عليه السلام).

وكانت خطبة «الأشباح» هي السياق النصي الذي يتحرَّك البحث في ميدانه؛ لما لهذه الخطبة من خصوصية تعبيرية ومضمونية تتمثَّل في أنَّها خطاب عقائدي متكامل، يسعى الإمام (عليه السلام) من ورائه إلى ترسيخ طائفة من العقائد التي لا يسلَّم الدين من دون تمثُّلها ووعيها.

واعتمدَّت في تحليل البناء اللغوي لهذه الخطبة مجموعة من المهيمنات الدلالية أو الكلمات المفتاحية ذات الكثافة الدلالية؛ ولمَّا وجدت أنَّ خطبة «الأشباح» يمكن النظر إليها بلحاظ طائفة من المقاطع اقتطعت منها ما يتصل بالكلام على «الملائكة» بغية تحليله والكشف عن الرؤى الفكرية التي فيه.

وتوسَّعت في التوزيع المقاطعي للخطبة إلى الحد الذي بلغت فيه أن اقتطعت مقطعا صغيرا من مقطع «النص الملائكي».

ولعلَّ ذلك مرتبط بما لهذا المقطع من علاقة باسم الخطبة ومركز مضمونها الفكري.

فلعلَّ الإمام (عليه السلام) قد أراد من ذكر الملائكة والتوسع في بيان مكانها وهياءاتها وعبادتها... أن يُجيب السائل الذي سأل عن رؤية الله الذي كان سؤاله سببا في إبداع هذه الخطبة الشهيرة العميقة.

في مكانة «نهج البلاغة» التعبيرية والفكرية:

يأتي «نهج البلاغة» في كلامه ومضامينه ليتضمَّن «من الفكروالخيال والعاطفة آيات تتّصل بالذوق الفنّي الرفيع ما بقي الانسان و ما بقي له خيال وعاطفة وفكره، مترابط بآياته متساوق، متفجّر بالحسّ المشبوب و الإدراك البعيد، متدفّق بلوعة الواقع وحرارة الحقيقة والشوق إلى معرفة ما وراء هذا الواقع، متآلف يجمع بين جمال الموضوع وجمال الإخراج حتى ليندمج التعبير بالمدلول، أوالشكل بالمعنى،... لو نطق بالتقريع لانقضّ على لسان

العاصفة انقضاضا ولو هدّد الفساد والمفسدين لتفجّر براكين لها أضواء وأصوات ولو انبسط في منطق لخاطب العقول والمشاعر فأقفل كلّ باب على كلّ حجّة غير ما ينبسط فيه ولو دعا إلى تأمّل لرافق فيك منشأ الحسّ وأصل التفكير، فساقك إلى ما يريده سوقا، ووصلك بالكون وصلا، ووحّد فيك القوى للاكتشاف توحيدا.

وهو لو راعاك لأدركت حنان الأب ومنطق الأبوّة وصدق الوفاء الإنساني وحرارة المحبّة التي تبدأ ولا تنتهي أمّا إذا تحدّث إليك عن بهاء الوجود وجمالات الخلق وكمالات الكون، فإنّما يكتب على قلبك بمداد من نجوم السماء بيان هو بلاغة من البلاغة، وتنزيل من التنزيل.

بيان اتّصل بأسباب البيان العربي ما كان منه وما يكون».

ويبقى «نهج البلاغة» يمثّل «وثيقة أدبية وتأريخية وسياسية قليلة الأمثال».

ويأتي الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ليوظّف اللغة العربية في إنتاج خطابه الإصلاحي؛ «فإنّك واجد أصولها وفروعها، وجمال ألوانها وسحر بيانها، في أدب الإمام عليّ

وكان أدبا في خدمة الإنسان و الحضارة»؛ فما من أديب «يبلغ ما بلغ إليه عليّ بن أبي طالب في هذا النحو. فالنطق السهل لدى عليّ كان من عناصر شخصيته وكذلك البيان القويّ بما فيه من عناصر الطبع والصناعة جميعا. ثم إنّ اللّه يسّر له العدّة الكاملة لما تقتضيه الخطابة من مقوّمات أخرى... فقد ميّزه اللّه بالفطرة السليمة، و الذوق الرفيع، والبلاغة الآسرة، ثم بذخيرة من العلم انفرد بها عن أقرانه، وبحجّة قائمة، وقوّة إقناع دامغة، وعبقريّة في الارتجال نادرة.

أضف إلى ذلك صدقه الذي لا حدود له وهو ضرورة في كلّ خطبة ناجحة، وتجاربه الكثيرة المرّة التي كشفت لعقله الجبّار عن طبائع الناس وأخلاقهم وصفات المجتمع ومحرّكاته.

ثم تلك العقيدة الصلبة التي تصعب مداراتها وذلك الألم العميق الممزوج بالحنان العميق، وبطهارة القلب و سلامة الوجدان و شرف الغاية.

وإنّه من الصعب أن تجد في شخصيات التاريخ من اجتمعت لديه كلّ هذه الشروط التي تجعل

من صاحبها خطيبا فذّا، غير عليّ بن أبي طالب ونفر من الخلق قليل».

ومن خصائص الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنَّه «على المنبر رابط الجأش شديد الثقة بنفسه وبعيد القول. ثم إنَّه قويّ الفراسة سريع الإدراك يقف على دخائل الناس وأهواء النفوس وأعماق القلوب، زاخر جنانه بعواطف الحريّة والإنسانية والفضيلة، حتّى إذا انطلق لسانه الساحر بما يجيش به قلبه أدرك القوم بما يحرّك فيهم الفضائل الراقدة والعواطف الخامدة».

ويجدر في هذا السياق أن يُقال «إنَّ عليّ بن أبي طالب أديب عظيم نشأ على التمرّس بالحياة وعلى المرانة بأساليب البلاغة فإذا هو مالك ما يقتضيه الفنّ من أصالة في شخصية الأديب، ومن ثقافة خاصّة تنمو بها الشخصية وتتركز الأصالة».

لذلك أتت ألفاظ «نهج البلاغة» من الجمال والعلو ما لا حدود للإحاطة به.

في المضامين الخاصة لخطبة «الأشباح»:

تقف خطبة «الأشباح» التي أبدعها الإمام علي (عليه السلام) مع خطبه المشهورة «الشقشقية» و «البيان» و «الجهاد».

ولعلَّ لخطبة «الأشباح» ما يجعلها خطبة مختلفة من بين خطب الإمام (عليه السلام) لما لها من خصوصية فكرية تُكتسب من أنَّها تتنقَّل في أجواء كونية معارفية متنوعة تتكلَّم على وصف الله تعالى، وصفة السماء، و صفة الملائكة، وخلق آدم (عليه السلام)، و «خلق الأرض»..... وهذه الأجواء هي ما يمثّل النظام الكوني و الحياتي في ضوء المنظور العقائدي الذي يتساوق مع إرادة التأكيد أنَّ هذه الأجواء لا شكَّ في أنَّها مرتبطة بخالق عظيم واحد؛ ومن ثم فإنَّ المغزى في هذه الخطبة هو الدلالة على وجود الخالق العظيم الواحد الذي ترجع إليه المخلوقات جميعا.

فضلا عن أنَّ هذه الخطبة بلحاظ تأكيد الخالقية تشير إلى حتمية فناء المخلوقات.

ومن هذا تكتسب الخطبة بعدا عقائديا بل لعلّها تكرِّس الجوانب العقائدية في جميع أرجائها ولا سيما عقيدة التوحيد.

وخطبة «الأشباح» (من جلائل الخطب) له (عليه السلام) .

و «الأشباح» (الأشخاص والمراد بهم هاهنا الملائكة)؛ لأنَّها تضمَّنت الكلام على الملائكة، ومن هنا أخذت اسمها.

وكان قد خطبها (عليه السلام) في جامع الكوفة.

«رَوَى مَسْعَدَةُ بْنُ صَدَقَةَ عَنِ اَلصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ: خَطَبَ أَمِيرُ اَلْمُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ اَلْخُطْبَةِ عَلَى مِنْبَرِ اَلْكُوفَةِ وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ اَلْمُؤْمِنِينَ صِفْ لَنَا رَبَّنَا مِثْلَ مَا نَرَاهُ عِيَاناً لِنَزْدَادَ لَهُ حُبّاً وَبِهِ مَعْرِفَةً فَغَضِبَ وَنَادَى اَلصَّلاَةَ جَامِعَةً فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ اَلنَّاسُ حَتَّى غَصَّ اَلْمَسْجِدُ بِأَهْلِهِ فَصَعِدَ اَلْمِنْبَرَ وَهُوَ مُغْضَبٌ مُتَغَيِّرُ اَللَّوْنِ فَحَمِدَ اَللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى اَلنَّبِيِّ».

ثم خطب بخطبته هذه التي ذكر فيها وصف الله تعالى، وصفاته سبحانه في القرآن الكريم،

وصفة السماء، و صفة الملائكة، وصفة الأرض ودحوها على الماء.

لقد جاءت هذه الخطبة على مجموعة من المقاطع والمضامين، يُعنى البحث بمقطع كلامه (عليه السلام) الذي يصف فيه الملائكة في أماكنها ومكانتها وعبادتها:

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ وَعِمَارَةِ اَلصَّفِيحِ اَلْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ وَمَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا وَحَشَى بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ اَلْفُرُوجِ زَجَلُ اَلْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ اَلْقُدُسِ وَسُتُرَاتِ اَلْحُجُبِ وَسُرَادِقَاتِ اَلْمَجْدِ وَوَرَاءَ ذَلِكَ اَلرَّجِيجِ اَلَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ اَلْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ اَلْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا.

يقول ابن أبي الحديد: «إذا جاء هذا الكلام الرباني واللفظ القدسي بطلت فصاحة العرب وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه نسبة التراب إلى النضار الخالص ولو فرضنا أنَّ العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه الألفاظ من أين لهم المادة التي عبرت هذه الألفاظ عنها ومن أين تعرف

الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله ص هذه المعاني الغامضة السمائية ليتهيأ لها التعبير عنها أمَّا الجاهلية فإنَّهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاة أو صفة جبال أو فلوات ونحو ذلك.

وأمَّا الصحابة فالمذكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة أمَّا في موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا أو يتعلق بحرب وقتال من ترغيب أو ترهيب فأمَّا الكلام في الملائكة وصفاتها وصورها وعباداتها و تسبيحها ومعرفتها بخالقها وحبها له وولهها إليه وما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل على طوله فإنه لم يكن معروفا عندهم على هذا التفصيل نعم ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم ولا مرتبة هذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم وأما من عنده علم من هذه المادة كعبد الله بن سلام وأمية بن أبي الصلت وغيرهم فلم تكن لهم هذه العبارة ولا قدروا على هذه الفصاحة فثبت أن هذه الأمور

الدقيقة في مثل هذه العبارة الفصيحة لم تحصل إلا لعلي وحده وأقسم أن هذا الكلام إذا تأمله اللبيب اقشعر جلده ورجف قلبه واستشعر عظمة الله العظيم في روعه وخلده وهام نحوه و غلب الوجد عليه وكاد أن يخرج من مسكه شوقا وأن يفارق هيكله صبابة ووجدا».

ويقول حبيب الله الخوئي: «لا جرم ساق (عليه السلام) هذا الفصل لبيان حالهم وضمنه ذكر أوصافهم المختلفة وشئوناتهم المتفاوتة بعبارات رائقة وبدائع فائقة».

الأول: المهيمنات الدلالية في سياق مكان الملائكة وعمارتهم السماء

١- في ألفاظ المكان

(الصَّفِيح)

تدور أغلب دلالات مادة (صفح) حول السعة وما كان عريضا من الأشياء .

وهو في سياق الخطبة: «ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ وَعِمَارَةِ اَلصَّفِيحِ اَلْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ».

يدل على السماء، وسطح الفلك .

ومن المناسب أن تكون دلالته هنا على «الفلك التاسع، وهو العرش لكونه أعظم الأجرام وأعلاها وسكانه الملائكة».

ولعلَّ هذا الاستعمال يمثّل فرادة دلالية استعمالية تصل به إلى الدلالة المخصوصة على «محل عبادة الملائكة... وعالم الملكوت و مقعدهم الصدق من معرفته».

وهذه الدلالة تصل إلى دلالة ثانية أعلى هي إيحاء هذه اللفظة بعمارة السماء؛ ومن ثم تأتي دلالتها على «البيت المعمور بجلال الله وعبادتهم له».

وهذا يقود إلى ظهور الأثر القرآني المضموني في إنتاج المعنى على مستوى إشارة النص.

يقول تعالى: «وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ».

و «البيت المعمور» في السياق القرآني يدل على عمارة السماء بكثرة الملائكة الطائفين به .

فنكون على مقربة من الإيحاء بأنَّ «الصفيح» تستعمل للدلالة على السماء المعمورة بعبادة أهلها لإلههم الواحد الذي خلقهم.

ولا يدل بأيَّة حال من الأحوال على مطلق السماء.

(فُرُوج فِجَاجها)

الفَرْج: الشَّق، وما يفصل بين جبلين .

والفروج الأماكن الخالية والفج: شق بين جبلين، ويستعمل للدلالة على الطريق الواسعة .

وفي الخطبة: «وَمَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا».

ودلالتهما السياقية على ما يُتصوَّر من تباين بين أجزاء الفلك .

وفي الاستعمال القرآني يقول تعالى: «**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ**»[1].

وفروج السماء شُقُوقها وفُتُوقها .

ويقول تعالى أيضا: «**وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ**»[2].

وفي التفسير هو بمعنى «فُتحت فكانت أبوابا».

وقال تعالى: «وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ».

ويقول تعالى: «وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ».

---

١ . سورة ق، الآية: ٦.

٢ . سورة المرسلات، الآية: ٩.

ودلالتهما على المسالك والطرق البعيدة .
واللافت أنَّ القرآن الكريم استعملهما للدلالة على الطرق الأرضية على حين استعملهما الإمام (عليه السلام) في سياق الكلام على طرق السماء؛ ما يعني أنَّ انتقالا في مجال الدلالة قد حدث، ليُعطي شحنة من الدلالة العرفانية.
(فُتُوق أَجْوَائها)، و(فَجَوَات اَلْفُرُوج)
الفتق:«ما انفرج و اتسع من الأماكن».
وتدل الفُتُوق على التباعد بين أجزاء الفلك .
والأجواء: «جمع جو و هو ما اتسع من الأودية. ويقال لما بين السماء والأرض جو».
والفجوة تدل على الفرجة بين الشيئين .
وفي الخطبة: «حَشَى بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا وَ بَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ اَلْفُرُوجِ».
(ملأ)، و (حشى)
لمَّا دلَّ باستعمال «فتروج»، و «فُتُوق»، و «فَجَوَات» على التباين بين أجزاء الفلك انتهى إلى أنَّ الملائكة هم مَن يحفظ جواهر الأفلاك .
واللافت أنَّه وظَّف لهذا المعنى «ملأ» و «حشى» في تعميق للفرق الدلالي بينهما، على الرغم من أنَّه اختارهما للدلالة على سكن

الملائكة وكيفية تواجدها في أقطار السماوات؛ لما فيهما من الدلالة على الوجود و الحضور على نحو من اللطف والنفع نجد أنَّ «ملأ» استعمل مع «الفُرُوج»، على حين استعمل «حشى» مع «الفُتُوق» للدلالة على أنَّ «الفُرُوج» تُملأ، و «الفُتُوق» تُحشى؛ للإيحاء بالانتظام في الأول والتتابع و التراكم في الثاني. بمعنى أنَّ «ملأ» توحي بالعدد الطبيعي، على حين توحي «حشى» بالكثرة.

(حَظَائِرِ اَلْقُدُس)

الحظر: المنع، و «جمع الشيء في حظيرة».

والحظيرة «الموضع الذي يُحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل وسائر الماشية يقيها البرد والريح».

والمُحتظِر من يقوم بعملها .

يقول تعالى: «**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ**»[1].

و «حظيرة القُدْس» الجنة .

يقول الإمام (عليه السلام) في سياق كلامه على عبادة الملائكة: «زَجَلُ اَلْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي

---

١ ـ سورة القمر، الآية: ٣١.

حَظَـائِرِ اَلْقُـدُسِ وَ سُـتُرَاتِ اَلْحُجُـبِ وَسُـرَادِقَاتِ اَلْمَجْدِ».

وتـدل فـي سياق هـذه الخطبـة علـى «المـواطن الشريفة المقدسة العالية التي فوق الفلك»، بلحاظ أنَّ هــذه هــي «المقامــات المقدَّســة لــلأرواح الطاهرة» المتخذة للعبادة .

وهـذا مـا يجعـل دلالتهـا تتمحـور حـول «كونهـا حظائر القدس لطهارتها وبراءتها عن نجاسات الجهل والنفس الأمَّارة بالسوء».

(سُتُرَات اَلْحُجُب)

السَّتر: التغطية .

والسُّترة ما يُستر بها، وأكثر استعمالها في الدلالة على ما يضعه المصلي أمامه عند أداء صلاته .

والسُّتُرات جمعها.

وفي الخطبة يُراد بها الدلالة على شرف الملائكة .

(سُرَادِقات اَلْمَجْد)

السُّرادِق: غطاء يُمد على صحن البيت ليُغطيه .

وسُّـرادِقات المجد تعطـي الدلالـة علـى الحُجُـب النورانيــة التــي تربــأ بالملائكــة عــن الماديــة والحسية .

ويمكن إجمال الدلالة في هذه المقامات على أنَّهم في «تلك الحجب سرادقات المجد لكمال ذواتهم وشرفهم بها».

ومن المناسب أن يُقال إنَّه قد يكون «المراد بها المواضع المعدّة لعبادة الملائكة بين أطباق السّماوات و وصفها بالقدس من حيث اتصافها بالطهارة والنزاهة من الأدناس والأرجاس ويمكن أن تكون الإشارة بها إلى ما فوق السماء السّابعة من الحجب والسّرادقات النورانية».

ومن الجدير بالذكر هنا أنَّه هنالك سُرادقات متعددة، فهنالك «سرادقات الجلال...، ثمّ سرادقات العزّ، ثمّ سرادق الكبرياء، ثمّ سرادق العظمة، ثمّ سرادق القدس، ثمّ سرادق الجبروت، ثمّ سرادق الفخر، ثمّ سرادق النور الأبيض، ثمّ سرادق الوحدانية».

٢- في ألفاظ العمارة

(زجل)

الزَّجل: اللعب والجَلَبَة و التطريب .

وفي خطبة «الأشباح»: (زَجَلُ اَلْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ).

يدل «زجل المسبحين» على صوتهم الرفيع العالي .

وهو في سياق الخطبة استعمل للدلالة على «كمال عبادتهم كما انَّ الرجل في رفع صوته بالتضرع و التسبيح والتهليل».

(الرَّجيج)

الرَّج: الحركة والزلزلة والاضطراب.

ومنه ارتج البحر .

وفي الخطبة: «وَوَرَاءَ ذَلِكَ اَلرَّجِيجِ اَلَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ اَلْأَسْمَاعُ».

وهو «عبادات الملائكة».

وتبقى في «زجل» و «رجيج» دلالتهما على «ما يسمعه الأنبياء من أصوات الملائكة».

الثاني: المهيمنات الدلالية في سياق حدود معرفة الملائكة

(وراء)

وراء من الألفاظ المتضادة في الاستعمال العربي؛ إذ يدل على الأمام والخلف .

وقال في الخطبة: «وَرَاءَ ذَلِكَ اَلرَّجِيجِ اَلَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ اَلْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ اَلْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا».

ولا شكَّ أنَّه في سياق كلام الإمام (عليه السلام) لا يدل على الدلالة المكانية الخالصة، بل يدل على المكانة والإحاطة والهيمنة.

(سُبُحَات نُور)

«سَبَحَ، كمَنَعَ، سُبْحاناً، وسَبَّحَ تَسْبيحاً: قالَ: سُبْحانَ اللّه. وسُبُّوحٌ قُدُّوس، ويُفْتَحان: من صفاته تعالى، لأَنَّه يُسَبَّح و يُقَدَّس. والسُّبُحات، بضمَّتين: مواضِع السُّجود. وسُبُحات وَجْه اللّه: أنواره».

جاء في الخطبة: «وَرَاءَ ذَلِكَ اَلرَّجِيجِ اَلَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ اَلْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ اَلْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا».

و «سُبُحَات النور» تُشير في هذا السياق إلى «جلالة الله تعالى و عظمته».

وتظلّ عرفانية هذا الاستعمال ترقى وصولا إلى أنَّه قد نبَّه به على «أنَّ معارفهم لا تتعلَّق به كما هو، بل وراء علومهم وعباداتهم أطوارا أخرى من جلاله تقصر معارفهم عنها».

(حدودها)

الحدّ: ما يحجز بين شيئين.

وفي سياق الخطبة يكون المعنى المتحقق أنَّ معرفة الملائكة ومقدرتهم «تقف حيث تنتهي قوتها لأنَّ قوتها متناهية فإذا بلغت حدها وقفت».

وهذا الحد المتناهي لا يمنع من أن يكون – في كلام الإمام (عليه السلام) – رمزا يحث الإنسان فيه لطلب الكمالات والتدرج فيها؛ فيكون حد الملائكة الذي يمثّل هنا مهيمنة دلالية كبرى حافزا لهذا الإنسان الذي يُريده الله سبحانه وتعالى سائرا في طرائق وفجاج الفعل الكمالي، وصولا إلى سُبُحات الأنوار وسُرادقات المجد من خلال زجل العبادة ورجيجها.

وهذا لا يكون بعيدا عن اتخاذ الإنسان من هذه الحدود وعدم إحاطته بوصف الله سبحانه سرا من أسرار تعلُّقه به وطاعته وعبادته.

من دون أن يغيب عنَّا في هذا المقام النظر في تعلُّق الملائكة بربِّهم العظيم وطرائق عبادتهم، فنجعل منها مثالا في العبادة والخضوع إلى حد تظهر معه آثارهما في حياتنا وفكرنا.